القوس والنشاب

أوغلــــوا و أردوغــــان

الشيخ الأستاذ

أحمد السراج

مُؤسَّسَة الرّاية للإنتاج الإعلامي

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

2016/06/15م

مقال

القوس والنشاب

(أوغلو وأردوغان)

بقلم/ أحمد السراج



بعد بسملة و حمدلة لرب الأرض والسموات العلا، وصلعمة وسلعمة على قائد الصحب الفضلا ، وعوذلة وحوقلة نكتب ما تلا،..

إن مما لا شك فيه أن تركيا الحديثة تمر بأزمة هوية منذ الحقبة الكمالية ، بل إننا لا نخطئ إن قلنا إن هذه الأزمة هي نتاج تلك الحقبة ، وسنطرح في هذه السطور القليلة الأزمة والمخرج والتقييم عبر النموذج الأوغلوي الأردوغاني (القوس و النشاب) ، ومن ثم تصورنا المتواضع للمخرج، وأنا إذ أكتب هذه الفقرات والتي هي رأيي المتواضع في تجربة حية واعدة ، ألا وهي التجربة التركية – اختلفت معها أو اتفقت.

الأزمة :

لقد مرت الدولة العثمانية قبل انهيارها – ولعله سبب انهيارها – بأزمة تحضير (تحديث) حيث أدرك علماؤها ومثقفوها أن أوربا قد سبقتهم بعد أن كانت خلفهم ، ولابد من اللحوق بها ، فكانت الأزمة المعروفة في تناول الحضارة الغربية مما أدى لظهور ثلاثة تيارات: الأول/ تيار ينادي بتهذيبها مما يخالف الإسلام ومما لا حاجة لنا به كما كان السلف الصالح، والتيار الثاني/ ينادي بالإعراض عنها بالكلية، والتيار الثالث/ ينادي باقتفاء أثرها بعُجرها وبُجرها وهم (السلفية الغربية) كما دعاهم الدكتور المسيري – رحمه الله – وقد احتدمت الأزمة بين الفريقين الثاني والثالث ، وكان أن حاول السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله أن ينتهج النهج الأول ، إلا أن الانقلاب القومي (التركي – العربي) أطاح بحلم النهضة الحميدي ، ووقعت البلاد تحت سيطرة الاتحاديين والذين تسببوا في جر الدولة العلية لحرب لا ناقة لها فيها ولا جمل على غير استعداد لها أيضاً مما أدى لهزيمتها في الحرب

العظمى الأولى ، وظهر مصطفى كمال – أتاتورك – المدعوم سراً من الخليفة في الأناضول – معقل القوة التركية – ليقود حرب الاستقلال ويطيح بالخليفة والخلافة معتبراً الإسلام والعرب سبب هزيمة الدولة ، فأعلنها علمانية فجة ضدهما فحارب الإسلام وشيوخه ، والعربية وحروفها ، ووقعت تركيا في أزمتها الانفصالية ثلاثية الأبعاد وهي :

- هل نحن مسلمون؟ أم علمانيون (ذئبيون)؟ كما ادعى كوك ألب . الهوية الدينية .
- هل نحن أوربيون؟ أم آسيويون؟ . الهوية الجغرافية .
- هل نحن طورانيون؟ أم عثمانيون؟ . الهوية القومية الثقافية.

وباختصار لقد خلقت الكمالية سؤالاً مصيرياً هو: من هو التركي؟ هل هو مسلم عثماني آسيوي (شرقي)؟ أم علماني طوراني أوربي (غربي)؟ ، ويلزم منه إجابة سؤال لا يقل عنه أهمية: ما هو دور التركي ، وتركيا الحضاري؟ وهو ما حاول الإجابة عنهما أحمد داود أوغلو في تحفته (العمق الاستراتيجي)، وحاول تطبيقه أردوغان. ومن وجهة نظري أنهما وفقا أيما توفيق في الإجابة عن سؤال الهوية وهو الأصل الذي أسس عليه نظريته السياسية ورؤيته الحضارية لتركيا المستقبل وتلك كانت إجابته عن السؤال الثاني والتي في رأيي المتواضع لم يوفقا فيها كل التوفيق، فقد استحضرا وارتكزا في الإجابة الأولى إلى مسلّمات (الإسلام – الآسيوية – العثمانية)، وجمعا في الإجابة الثانية بين متناقضات (حلف الناتو – العضوية الأوربية – التنمية الشرق أوسطية) كما سنبينه في هذه الأسطر إن شاء الله تعالى.



المخرج :

يرى داود أوغلو أن القوة التركية تكمن في العمق الثلاثي (الاستراتيجي) وهو الإسلامي الثقافي ، والتركستاني القومي ، والعربي الإقليمي ، ويرى أن الدور الثقافي لتركيا هو طرح الإسلام بصورة راقية تجعل من تركيا قاطرة تقود دول المؤتمر الإسلامي إلى وجهة صحيحة نحو الحضارة الغربية فهي قاطرة ثقافية حضارية ، وهذا هو المحور العالمي للدور التركي حسب المشروع الأوغلوي الأردوغاني ، وعلى المستوى القومي التركستاني فقد وضعت تركيا برنامجاً سياسياً ثقافياً سياسة جذب القوس نحو العمق الآسيوي – موطن الترك الأول – بتقوية الرابطة التركية، وعلى المستوى الإقليمي (المتوسطي الأوربي – العربي الشرق أوسطي) فقد طرح أوغلو الحل الاقتصادي مع الجوار العربي (السلام عبر التنمية) والحصول على عضوية أوربا .

وتطبيقاً للمحور الأول فقد قامت تركيا بأنشطة ثقافية ودينية انطلاقاً من الإرث العثماني والدعوة للإسلام، وقد وضعها هذا في تحدٍّ تاريخي قوبلت هذه الجهود أحياناً بالرفض أو الاستهجان في المنطقة العربية حيث استدعى القوميون العرب ذكريات العثمانيين أو تحديداً الحقبة الحميدية – الاتحادية.

وعلى المحور القومي فقد دعمت تركيا دول وسط آسيا وقدمت خدمات كثيرة جاذبة إياهم نحوها مرسخة قوسها هناك مما وضعها في تحدٍّ ثاني مذهبي حيث هدد هذا التوسع التركي السني العثماني النيتوي المصالح الروسية الإيرانية بل والصينية في المنطقة الأكثر أهمية جيوبوليتيكياً واقتصادياً في الأرض بعد جزيرة العرب (أو ما يدعى الشرق الأوسط حسب المشروع الإسرائيلي البيريزي).

وعلى المحور الإقليمي فقد أصبحت تركيا صديقاً لدول عربية عدة وواسطة خير في كثير من الأزمات، بل وفاعلاً مباشراً في أزمة غزة من حصار اقتصادي وعزلة سياسية.

وعليه فتركيا الأوغلوية الأردوغانية حققت إنجازات ثقافية واقتصادية وعسكرية كبيرة، ولا زالت التجربة واعدة وفتية ولا شك أنها ماضية في طريقها الذي ترسمته ما ساعدتها الظروف، (جذب القوس نحو "العمق الاستراتيجي" ورمي النشاب نحو "المدى الجيوبوليتيكي").



التقييم :

وضع أوغلو ثلاثية ارتكازية للدور التركي المستقبلي وهي: التحالف مع الولايات المتحدة (النيتو)، والعضوية في الاتحاد الأوربي، والتنمية في العالم العربي، وقد تبين أن هناك خلافات كثيرة ظاهرة بين الحليفين التركي والأميركي ويتضح ذلك في الأزمة السورية، كما أن النظرة الأميركية لتركيا كحليف قد تغيرت خاصة بعد أن طمحت تركيا في التحول إلى شريك في إدارة المنطقة بعد الإرهاصات الأكيدة بانسحاب أميركي كبير من المنطقة وعودة إلى عزلة قارية منكفية على الذات.

أما العضوية في الاتحاد الأوربي والتي أصبحت سراباً خاصة بعد دخول روسيا على خط الأزمة السورية وأطماعها في المياه الدافئة وعداوتها القديمة لـ(تركيا العثمانية) ومن ثم رفضها الأكيدة لـ(عثمنة تركيا) من جديد، كما أن الطموح التركي في وسط آسيا يهدد المصالح الروسية كما أسلفنا ، مما يجعل من تركيا (مجموعة مشاكل) لا (مجموعة حلول) تضاف إلى أوربا والتي هي عبارة عن كتلة مشاكل ثقافية سياسية اقتصادية عسكرية ، مما يجعلها تتجنب العبء التركي الديموغرافي الإثني.

أما التنمية في المنطقة العربية كمفتاح للسلام وتجاوز الماضي العدائي القريب فقد وجدت تركيا نفسها في صراع (وراثة) عربي – إقليمي، فالوريث الإيراني (الفتيّ) الشيعي وتابعه السوري، والوريث المصري (الكهل) العروبي ونصيره الإماراتي، هما محورا صدام وتنافس لا تنمية وتعاون، خاصة والمحوران يعلنان عداءهما لأميركا (حليف تركيا) وإسرائيل (صديق تركيا)، وقد تعرضت قطر لعزلة إقليمية لسياستها المصادمة للمحورين معاً إلا أن الثقل السعودي الاقتصادي والديني حسم الأمر، كما أن هناك ثلاث أزمات كبرى تهدد المنطقة واستقرارها فضلاً عن تنميتها (ومعلوم أن التنمية بنت السلام) وهي الأزمة السورية ومن وراء كل أحلافه وأصدقائه ، والأزمة اليمنية ، والأزمة الليبية بما فيهن جميعاً من تعقيدات قومية وإقليمية واقتصادية تتصارع فيها المحاور الثلاث (الإيراني – المصري – التركي) ومما يقلل من فرص تركيا في الوراثة تحالفها مع أميركا (عدو الإنسانية الأول) وصداقتها مع إسرائيل (عدو العرب الأول) والتنافر مع مصر (الثقل العربي الأول).



تصورنا:

في رأيي المتواضع أن تركيا في غنى عن الولايات المتحدة وحلفها الأطلسي ، وعن أوربا وعضويتها المتوسطية وعن إسرائيل ومجالها الشرق أوسطي ، بل إن القوى الثلاث يحتاجون تركيا أكثر مما تحتاجهم هي – وهو ما أكده أوغلو في رؤيته – ويستغلونها كجسر ومعبر ثقافي نحو العالم الإسلامي ، وإقليمي نحو العالم العربي ، واقتصادي شرق أوسطي نحو القضية الفلسطينية ، حيث (الإسلام المعتدل) و(التوازن الإقليمي) مع إيران المذهبية ومصر القومية ، و(السلام العادل والشامل) حسب كامب ديفيد في فلسطين التاريخية، وقد أدرك أوغلو الشق الأول وهو الاحتياج لتركيا ، وفي رأيي أن عليهم أن يفطنوا للشق الثاني وهو استغلال تركيا، وما نراه حلاً وتصويباً متواضعاً للقوس الأوغلوي والنشاب الأردوغاني يتمثل في محورين :

- **الأول: "استنزاف" الأعداء المتمثل في:**
  - **أميركا العولمية (عدوة الإنسانية وسبب شقائها) .**
  - **وأوربا الاستعمارية (عدوة المسلمين وسر تخلفهم) .**
  - **وإسرائيل العنصرية (عدوة العرب وسر تفتتهم) .**

لأقصى مدى ممكن واستغلال حاجتهم لتركيا والربح السياسي والاقتصادي والعسكري تمهيداً للمحور الثاني من الرؤية.

- **الثاني: "استشراف" الأنصار المتمثلين في العالم النامي أميركا الجنوبية وآسيا وإفريقيا، والعالم الإسلامي، والعالم العربي، عبر التنمية الاقتصادية العالمية، والوحدة السياسية الإسلامية، وتحرير فلسطين العربية، وقد طرح أوغلو تصوراً تطويرياً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهو يحتاج لتطوير حيث تصبح المنظمة اتحاداً إسلامياً سياسياً فيدرالياً موحداً على ثلاث أسس وهو (شريعة القرآن، بلغة القرآن، في دولة القرآن) وتأسيس منظمة عالمية بديلة عن الأمم المتحدة والتي أثبتت فشلها على مستوى العوالم الثلاث النامي والإسلامي والعربي، وأخيراً وهو البدء أن تعلن تركيا نفسها نقطة انطلاق لتحرير فلسطين، وإن بدت هذه الطروحات الثلاث خيالية رغم انسجامها وتوافقها مع المسلّمات الارتكازية التي انطلق منها أوغلو، فهل تبدو طروحات أوغلو الواقعية المتناقضة مع تلك المسلّمات مستقبلية؟**

هذا هو ما ستجيب عنه الأيام،،،

كتبه/ أحمد السراج

مُؤَسَّسَة الرّاية للإِنتاج الإِعلامي



قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

10-رمضان-1437هـ.